اسم المادة: فصل في الآداب الباطنة للحج ١

من سلسلة: مختصر منهاج القاصدين

لفضيلة الشيخ: محمد حسين يعقوب

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: فصل في الآداب الباطنة للحج ١
من سلسلة: مختصر منهاج القاصدين
لفضيلة الشيخ: محمد حسين يعقوب
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-1870.htm

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله أحمده –تعالى– وأستعينه وأستغفره وأعوذ بالله –تعالى– من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" آل عمران:١٠٢، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً" النساء:١، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً" الأحزاب ٧٠:٧١.

أما بعد

فإن أصدق الحديث كلام الله –تعالى–، وإن خير الهدي هدي محمدٍ –صلى الله عليه وسلم–، وإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد:

فإخوتي في الله؛ أنا أحبكم في الله

هذا هو المجلس الثامن عشر من مجالس التزكية، فرع التزكية من مدرسة الربانية، وهو من كتاب مختصر منهاج القاصدين.

وكنا قد توقفنا في اللقاء الماضي عند فصل في الآداب الباطنة والإشارة إلى أسرار الحج، وكان كلام الشيخ "اعلم أنه لا وصول إلى الله – سبحانه وتعالى– إلا بالتجرد والانفراد لخدمته، وقد كان الرهبان ينفردون في الجبال طلبًا للأنس بالله، فجعل الحج رهبانية هذه الأمة".

شوف الكلمة العجيبة؛ كان الرهبان ينفردون في الجبال طلبًا للأنس بالله، كأنه يصعب إن لم أقل يستحيل استشعار الأنس بالله في وسط ضجيج البشر. ابن القيم يقول: دخان الخلطة أنفاس البشر دخان القلوب. فلطلب الأنس بالله كان يخرج هؤلاء إلى البراري للصحراء، خلوة لتحصيل الأنس بالله. والحقيقة أيها الإخوة أن الأنس بالله علامة من علامات سلوك الطريق إلى الله.

أنا أقول دايمًا إن في الطريق إلى الله منارات من لم يرها يبقى لم يسر هذا الطريق؛ من هذه المنارات أو الصور الكبيرة التي في الطريق إلى الله –عز وجل– الأنس بالله، يبقى اللي حس بالأنس واستمتع به يبقى مشي وسلك، اللي ماحسش بالأنس بالله يبقى لسه عمره ما خد خطوة واحدة في الطريق إلى الله –سبحانه وتعالى–.

يقول الشيخ إن في الحج يحصل الشعور بهذا، كان طبعًا في زمن الشيخ كان الحج على الجمال والحج في صحراء، يمشوا أيام طويلة أسابيع وشهور للوصول إلى بيت الله الحرام، فكان قطع المفاوز والسفر في البراري ده كان إحساس بالأنس بالله –سبحانه وتعالى–، أما في الوقت الحالي القضية اختلفت؛ طيارات وحتى الأتوبيسات والمراكب بقى فيها ضجيج البشر أيضًا، فبقي إن الإنسان ينفرد أثناء الحج ميبقاش معاه صحبة يعرفها، فيشغلونه عن الله –سبحانه وتعالى–.

يقول الشيخ: "فمن الآداب المذكورة أن يكون خاليًا في حجه من تجارة تشغل قلبه وتفرق همه، ليجتمع على طاعة الله" يبقى كل شيء يشغل قلبه أو يفرق همه فعليه أن يتخلص منه، ليجتمع على طاعة الله، "وأن يكون أشعث أغبر رث الهيئة غير مستكثر من الزينة، وينبغي أن يتجنب ركوب المحمل إلا من عذر، كمن لا يستمسك على الزاملة. فإن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– حج على راحلة وتحت رحل رث". الشيخ الألباني صحح هذا الحديث أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "حجَّ النَّبيُّ –صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ– علَى رَحْلٍ رثٍّ وقَطيفةٍ تُساوي أربعةَ دراهمَ أو لا تُساوي، ثُمَّ قالَ اللَّهمَّ حَجَّةٌ لا رياءَ فيها ولا سُمعةَ". فالخوف من الرياء والسمعة.

يا جماعة الخطر كل الخطر أن يدخل الرياء على القلب، تخسر العمل. ده أنا اكتشفت كمان إنك مش بس بتخسر العمل ده إنت بيبقى عملك ده معصية، يعني واحد رايح يحج عشان تُغفَر ذنوبه، يبقى الحج من ذنوبه. واحد بيطلب العلم عشان يسلك طريقًا إلى الجنة، فإذا به يسلك طريقًا إلى النار بالرياء.

عشان كده كتير من الشباب اللي بلاقيه مثلًا إيه مطول شعره، ولابس طاقية سودة ومش عارف إيه، أو لابس عمامة كبيرة كده، أو لابس الغترة اللي عمال كل شوية يعمل كده دية الحمرا ولا البيضا أنا مابقولش إن ده حرام ولا إن ده مش سنة، كل ده سنة وينبغي للإنسان إن يعمله، بس أنا باقول خلي بالك من نقطة مهمة أوي، نقطة خطيرة جدًا؛ إن الرسول –صلى الله عليه وسلم– نهى عن ثوب الشهرة. ليه؟ سببه يلفت النظر كل اللي يشوفه الناس يقولوا إيه شوف، فكذلك اللبس الباكستاني مثلا النهاردة أو اللبس اللي أنا قلت عليه الأمثلة دي الطاقية السوداء أو تطويل الشعر كده الحاجات دي بتلفت نظر الناس فيقول شوف فلان شوف فلان شوف فلان، هو بيبقى شكله متميز في وسط الناس فيلفت النظر، مين قلبه يستمسك من العجب وهو متميز عن غيره؟ أنا قلت لكذا واحد من اللي بيطولوا شعرهم بالله عليك تقدر تحلف إنك سايبه سنة، ولا منظرة، ولا هوى، نفس الشيء في كتير من الملابس، الكحل اللي بيحطه بعض الناس أكثرها منظرة، عشان كده العلماء يقولك إيه، إنه يستحب إن هو يحج على رحل رث تجنبًا للرياء، عشان مايقعش في الرياء، مش مفروض نساعد الشيطان على أنفسنا، نساعد أنفسنا على الرياء، إحنا عايزين نمشي جنب الحيطة كده لحد ما ندخل الجنة، صعب أوي إنك تتخذ أشياء تُصَعِّب عليك الإخلاص، تعذره حتى يستحيل إنك تخلص.

في حديث جابر –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الله –عز وجل– يباهي بالحج الملائكة فيقول: "انظُروا إلى عِبادي أَتَوْني شُعْثًا غُبْرًا ضاجّينَ من كلِّ فَجٍّ عَميقٍ، أُشهِدُكم أنِّي قد غَفَرْتُ لهم"[1]. حديث صحيح أيضًا

شعثًا غبرًا يبقى التعب والمشقة مقصودة في الحج، ترك الزينة الظاهرة مقصودة في الحج، ميبقاش واحد بقى حريص إن هو ما يتوسخش هدومه ما يتعبش لا لا، ده ربنا بيباهي بالوسخ ده. انظروا يا ملائكتي إلى عبادي أتوني شعثًا، شعثًا يعني شعرهم منكوش، إحنا مش في الحج بقى

[1] تخريج زاد المعاد

شعثًا إن يبقى شعرهم يبقى منكوش، غبرًا يعني متربين، شعثًا غبرًا أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم، ربنا بيباهي بهذا الشعث وذلك الغبار.

"وقد شرَّف الله –تعالى– بيته وعظمه ونصبه مقصدًا لعباده، وجعل ما حوله حرمًا له، تفخيمًا لأمره وتعظيمًا لشأنه، وجعل عرفة كالميدان على فنائه". ربنا –سبحانه وتعالى– عظم الكعبة ونصبه مقصدًا لعباده "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً.." البقرة:١٢٥ وجعل ما حوله حرمًا؛ حرم حوالين الكعبة تفخيم وتعظيم وجعل عرفة كالميدان على فنائه.

"واعلم أن في كل واحد من أفعال الحج تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر، فمن ذلك أن يتذكر بتحصيل الزاد زاد الآخرة من الأعمال، وليحذر أن تكون أعماله فاسدة من الرياء والسمعة فلا تصحبه ولا تنفعه، كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى صاحبه وقت الحاجة متحيرًا. فإذا فارق وطنه ودخل البادية وشهد تلك العقبات، فليتذكر بذلك خروجه من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال".

بهيم العجلي لما خرج إلى الحج بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: ذكرتني هذه السفرة بالرحلة إلى الآخرة.

اللي هو رايح يحج لازم يبقى قلبه متيقظ منتبه يقظ صاحي مركز، كل شيء في الرحلة بقى يفكره بالآخرة، لما يجي يجهز الزاد؛ الشنطة والملابس والفلوس، مجهز زاده، يتذكر الكفن والقبر والموت هو جهز إيه عشان ياخده معاه إلى الآخرة، قاعد يغير الريالات، اللهم بدل سيئاتنا حسنات، قاعد يتحرى الحلال إيه اللي هينفع في الآخرة، لابد إن هو يبقى صاحي.

نمرة اتنين إن وهو بيفارق وطنه وأهله وأولاده، يتذكر فراقهم بالخروج الأخير من البيت إلى القبر، وإذا شهد العقبات بقى، دخل المطار وعدى من الجوازات ودخل من الأنبوبة عشان يقعد في الطيارة أو نفس الشيء برضه في الباخرة أو نفس الشيء في الأتوبيس، يتذكر العقبات والأهوال؛ الموت، خروج الروح، دخول القبر، الخروج من القبر، أهوال القيامة، عقبات قبل الوصول لدخول الجنة. اللهم ارزقنا الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل.

"ومن ذلك أن يتذكر وقت إحرامه وتجرده من ثيابه إذا لبس المحرم الإحرام لبس كفنه، وأنه سيلقى ربه على زي مخالف لزي أهل الدنيا".

لازم الإنسان أما ييجي يلبس الإحرام يتذكر الكفن، فيُجرد من ثيابه ويلبس كفن، ما من ميت يموت إلا وهو يقول عند الموت رب ارجعون فيتذكر بقى في اللحظة دي وهو بيلبس الإحرام إنه مات ولبس الكفن، و"قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ" المؤمنون١٠٠:١٠١ فقيل له ارجع، فراجع بقى بيقول إيه؟ لبيك اللهم لبيك، راجع يقول لبيك، هو ده الإحساس المطلوب أن يتملكك ساعة الإحرام وساعة أول التلبية، لازم إنك تحس إنك خرجت من الدنيا، لبست كفنك، قلت رب ارجعون، قالك طب ارجع، فانت راجع بتقول جايلك لبيك، يعني جايلك لبيك أي مطيعًا لك، لبيك يعني مستقرًا على طاعتك، الإحساس ده هو اللي يخليك تقول لبيك صح من قلبك.

أما مع الغفلة والمنظرة والدبابيس والكباسين والحق راح وجه وعمل وسوى مصيبة، إحنا عايزينك تبقى صاحي وإنت بتلبس الإحرام وتتذكر وفاتك وكفنك وقولك رَبِّ ارْجِعُونِ.

"وإذا لبى فليستحضر بتلبيته إجابة الله –تعالى– إذ قال: "وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ" الحج:٢٧ فكأنك تسمع من عمق الزمن قول إبراهيم خليل الله –عليه السلام– يقول: "يا أيها الناس إن الله بنى لكم بيتًا فحجوا إن الله أمركم بالحج فحجوا". فانت جاي تقوله لبيك جايلك، استشعر هذا المعنى.

يا جماعة لبيك مش لعبة، مش لعبة ماهياش غنوة اللي ناس بتغنيها لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة، مش غنا هي لأ ده قلب، دي عبادة، ده ذكر، من قلبك.

وليرجْ القبول، وليخش عدم الإجابة، قيل لبعض السلف لبِ فبكى وأغمي عليه، فلما أفاق قيل: مالك؟ قال: أخشى أن أسمع غير الجواب.

خايف أقوله لبيك يقول لي لا لبيك ولا سعديك،

اخش عدم القبول، وارجو الإجابة، وحسن ظنك بالله ولبِ كما ينبغي قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–: "أفضلُ الحجِّ العَجُّ والثَّجُّ"[٢]، العج رفع الصوت بالتلبية، لذلك الصحابة كانت تبح أصواتهم من رفع الصوت بالتلبية، حديث جابر خرجنا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في حجة الوداع نصرخ صراخًا: لبيك اللهم لبيك بأعلى صوت صراخًا نصرخ صراخ –مش غنى بقى مش مزيكة هي– نصرخ صراخًا.

"وليخش عدم الإجابة، وكذلك إذا وصل إلى الحرم ينبغي أن يرجو الأمن من العقوبة، وأن يخشى ألا يكون من أهل القرب، غير أنه ينبغي أن يكون الرجاء غالبًا لأن الكرم عميم وحق الزائر مرعي، وزمام المستجير لا يضيع". الله أكبر

اللهم ارزقنا الحج والعمرة، اللهم تابع لنا بين الحج والعمرة، اللهم لا تحرمنا من الحج والعمرة، اللهم إنا نسألك أن ترزقنا الإخلاص في الحج والعمرة، اللهم تقبل منا الحج والعمرة.

ينبغي للإنسان إذا وصل إلى الحرم أن يرجو الأمن "وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً" آل عمران:٩٧ الأمان من العقوبة، قبل ما تدخل الحرم الكعبة حضرت إيه؟ جهزت إيه للكعبة؟ لكي ترى بيت ربك –سبحان الله العظيم–، الناس اللي محبين بيبكوا على الأطلال ويتمسحوا بالجدر، ويشموا الروائح بحثًا عن الأحباب.

جهزت إيه لرؤية بيت الله؟ بيت الله، بيت الله، الكعبة يا قلبك يا أخي؛ حجت امرأة فكانت تسأل الرفقة أين بيت ربي؟ أين بيت ربي؟ فلما دخلوا مكة قالوا الآن ترين بيت ربك، فلما دخلوا الحرم قالوا هذا بيت ربك، فصارت تجري وتشتد، تجري وتشتد، وهي تقول بيت ربي بيت ربي بيت ربي ثم وضعت خدها على الكعبة فما رفعوها إلا ميتة.

ماذا أعددت لبيت ربك؟ قبل ما تدخل الكعبة جهز قلبك إنك هتشوف بيت ربنا، بيت من الحجر نسب إلى الله فصار مغناطيس أفئدة الرجال "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً" البقرة:١٢٥ جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس قيامًا للناس، وهو داخل غلب الرجاء لأن الكرم عميم، كريم –سبحانه وتعالى– وانت رايح تزوره في بيته مش هيردك ومش هيضيعك.

"ومن ذلك إذا رأى البيت الحرام استحضر عظمته في قلبه وشكر الله –تعالى– على تبليغه رتبة الوافدين إليه".

نعم، باقول دايمًا لما تروح تحج أو تعتمر عليك باستشعار المنة، كتير من الناس الأكابر يقولك إن مش أي حد أدخله بيتي، الخواص بس همه اللي يدخلوا بيتي، طيب ربنا دخلك بيته مش نعمة؟ مين مننا يستاهل إنه يدخل بيته؟ لكنه كريم أذن وسامح وسمح لنا أن ندخل بيت.

تستشعر المنة واستحضر عظمة البيت الحرام في قلبك، واشكر نعمة الله أن بلغك رتبة الوافدين، واستشعر عظمة الطواف، استشعر عظمة الطواف فإنه صلاة.

الطواف يا جماعة مش لعبة برضه، يقولك هنلف سبع لفات تسه تسه ده اسمه طواف طواف سبعة أشواط، أنا عايزك تحس وانت بتطوف وتلف حوالين البيت، والبيت على يسارك وبتلف عكس اتجاه عقارب الساعة والبيت جهة قلبك، قلبك من ناحية الكعبة، كل شوط بترتفع شوية ترتفع، ترتفع، باتعجب يقولك نعمل إيه مع النساء في الطواف؟ إيه ده إنت دريان إن فيه نساء ولا رجالة في الطواف؟ ده انت عينك متعلقة بالبيت، وقلبك مشغول برب البيت، وانت مش في الدنيا، الموضوع مختلف يا جماعة ده أنا قدام بيت ربي أقوله إيه؟ عشان تتعجب من اللي بيقرا من كتاب واللي بيقولوا ورا واحد، واللي بيزعق، واللي مشغول بيحافظ على مراته عشان محدش يتزنق فيها، يا عم إحنا في إيه

[٢] أخرجه الترمذي وابن ماجه

ولا في إيه؟ ده انت مشغول تناجي ربك وتكلمه عند بيته تقوله إيه؟ وهمه سبع أشواط وهتقعد أو هتقلع إحرامك مش هيتعوضوا دول تاني، الطواف وانت محرم حاجة والطواف وانت بهدومك موضوع تاني مختلف، هتقوله إيه؟ تناجيه وتعتذر له وتحبه وتشكره وتدعوه.

تعظيم أمر الطواف

"وليستشعر عظمة الطواف، ويعتقد عن استلام الحجر أنه مبايع لله على طاعته، ويضم إلى ذلك عزيمته على الوفاء بالبيعة"

الإنسان وهو بيستلم الحجر قال –صلى الله عليه وسلم–: "يأتي هذا الحَجَرُ يومَ القيامةِ له عينانِ يُبصِرُ بهما، ولسانٌ ينطِقُ به، يشهَدُ لمن استَلمَه بحَقٍّ"[٣]. حديث تاني الحجر يمين الله في الأرض يشهد لمن استلمه بحق كأنما بايع الله.

لما تحط إيدك على الحجر؛ الحجر ده من الجنة يبقى كأنك شفت الجنة، حاجة من الجنة، لما تلمسه كأنك لمست حاجة من الجنة، –سبحان الله– شيء عجيب، معان ماينفعش نتكلم عنها بالراحة كده، عايز اسمحولي أحاول أتوسع شوية اللقاء القادم في الموضوع ده لأنه حلو، محتاجين نعمله بقلب وبروح.

بحبكم في الله أستودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله

[٣] أخرجه الترمذي وابن ماجه